التعريف بالحديث النبوى

• العناية بالحديث

يفتقر الإنسان فى حياته إلى معلومات كثيرة، ومصادر هذه المعلومات تنحصر فى أمرين: الإخبار النقلى، والنظر العقلى.

والإخبار النقلى هو العماد الذى تقوم عليه معظم المعارف التى يحتاج إليها الإنسان فى دينه بخاصة، وفى دنياه بعامة، والمصدر الأصيل فى هذا لدى أمة الإسلام: كتاب الله، وأحاديث رسول الله ﷺ.

وقد هيأ الله لأمتنا سَلَفُ صدق حفظوا لنا كتاب ربنا. وسُنَّة نبينا، وكانوا أمناء أوفياء، فمنهم مَنْ أولى عنايته بالقرآن وعلومه، وهم المفسِّرون، ومنهم مَنْ أولى عنايته بالحديث وعلومه، وهم المحدِّثون.

واهتم الصحابة والتابعون ومن بعدهم بحفظ أحاديث النبى ﷺ وتناقلها جيلاً بعد جيل، لما لها من أثر بالغ فى الدين، فلم يدعوا شيئًا من حياة رسول الله ﷺ، وما أُثِرَ عنه، وما عُرِفَ من سيرته وشمائله، إلا وذكروه، حتى يقتدوا به: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] ولأنهم مأمورون بأن يأخذوا عنه ما أتى به، وأن ينتهوا عما نهى عنه: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]

وكان اقتداؤهم به عليه الصلاة والسلام بالغ الغاية، فلا يسألون عن سبب أو عِلَّة.

أخرج البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: «اتخذ رسول الله ﷺ خاتمًا من ذهب، فاتخذ الناس خواتيم من ذهب، ثم نبذه النبى وقال: «إنى لن ألبسه أبدًا» فنبذ الناس خواتيمهم».

قال ابن حجر: «وفى هذا مبادرة الصحابة إلى الاقتداء بأفعاله ﷺ، فمهما أقر عليه، استمروا عليه، ومهما أنكره امتنعوا منه»[1].

وحَثَّ رسول الله ﷺ على سماع حديثه وحفظه وتبليغه.

عن زيد بن ثابت قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**نضر الله امرءاً سمع منا حديثًا فحفظه حتى يؤديه، فرُبَّ حامل فقه إلى مَنْ هو أفقه منه، ورُبَّ حامل فقه ليس بفقيه**»[2].

وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**نضر الله امرءاً سمع منا شيئًا فبلَّغه كما سمعه، فُربَّ مُبلَّغٍ أوعى من سامع**»[3].

وكانت رواية الحديث- ولاتزال- شرفًا يحظى به عدول الأمة الذين يعتنون بذلك، صيانة لتراث النبوة: «يحمل هذا العلم من كل سَلَف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»[4]. واشتهر عن جابر رضى الله عنه أنه سافر إلى الشام لأخذ حديث واحد من عبد الله بن أنيس[5]، وسافر أبو أيوب من المدينة إلى مصر ليروى حديثًا عن عقبة بن عامر[6].

ولم يكن حرص التابعين ومَنْ بعدهم على هذا أقل من حرص الصحابة، بل ساروا على دربهم، وترسموا خطاهم، وعمرت بأحاديث رسول الله ﷺ مجالسهم، وتجشموا فى تحصيلها المشاق والمتاعب، وضربوا فى أسفارهم لتحصيلها أكباد الإبل، يقول سعيد بن المسيب أحد كبار التابعين: «إن كنت لأسير فى طلب الحديث الواحد مسيرة الليالى والأيام»[7].

---

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى، لابن حجر العسقلانى: ١/ ٣٢١- المطبعة السلفية.

(٢) أخرجه أبو داود والنسائى وابن ماجه والترمذى، وقال: حديث حسن.

(٣) رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه والدارمى وأحمد، وقال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) رواه العقيلى وابن أبى حاتم وابن عبد البر.

(٥) رواه أحمد وأبو يعلى.

(٦) رواه ابن عبد البر فى جامع بيان العلم وفضله.

(٧) رواه الرامهرمزى فى المحدِّث الفاصل بين الراوى والواعى، ورواه ابن عبد البر.

وخرج عـامر الشعـبى إلى مكة فى ثلاثة أحاديث ذُكِـرَت له على أمل أن يلقى أحد الصحابة هناك فيسأله عنها[1].

وحدَّث الشعـبى رجلاً بحديث، ثم قال له: «أعـطيناكها بغيـر شىء، قد كان يُركب فيما دونها إلى المدينة»[2].

وبمثل هذا كانت عناية سَلَف هذه الأمة بسُنَّة نبيها محمد ﷺ.

• الحديث فى اللغة

الجديد.. يقال: حدث الشىء يحدث حـدوثًا، من باب قعد: إذا تجدد وجوده، فهو حـادث وحديث- والحديث كذلك: ما يُتـحدث به ويُنقل، يُطلق على القليل والكثيـر، والجمع: أحاديث- على غيـر قياس[3] وقوله عز وجل: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَـٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦]، عنى بالحديث القرآن الكريم، وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١] أى بَلِّغ ما أرسلتَ به[4].

• والحديث فى اصطلاح المحدثين

ما أُثِرَ عـن النبى ﷺ من قول أو فـعل أو تقرير أو صـفة خِلْقـية- بجـر الخاء وتسكين اللام- أو خُلُقية- بضمهما- أو سيرة، سواء أكان قبل البعثة أو بعدها[5].

وتنصرف فى الغـالب عند الإطلاق إلى ما يُروى عن الرسول ﷺ بعـد النبوَّة من قول أو فـعل أو تقرير، وهذا هو اصطلاح الأصوليين، فمـا كان قبل البـعثة لايكون حديثًا، لأن القـصد من الحديث العمل بمقتـضاه، ولايكون هذا إلا بعد النبوة[6].

---

(١) المرجع السابق.
(٢) رواه البخارى تعليقًا.
(٣) القاموس المحيط للفيروزآبادى، والمصباح المنير للفيومى.
(٤) لسان العرب لابن منظور.
(٥) السُّنَّة ومكانتها فى التشريع الإسلامى للدكتور السباعى ص ٥٩.
(٦) أصول الحديث لمحمد عجاج الخطيب ص٢٧.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والكتب التى فيها أخباره ﷺ. منها كتب التفسير، ومنها كتب السيرة والمغازى، ومنها كتب الحديث. وكتب الحديث هى ما كان بعد النبوَّة أخص، وإن كان فيها أمور جرت قبل النبوَّة، فإن تلك لا تُذكر لتؤخذ وتُشرَّع قبل النبوة، بل قد أجمع المسلمون على أن الذى فُرِضَ على عباد الله الإيمان به والعمل هو ما جاء به بعد النبوة»[1].

* **مثال القول:** ما تحدث به ﷺ فى مختلف المناسبات مما يتعلق بتشريع الأحكام، كقوله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيَّات، وإنما لكل امرئ ما نوى...**»[2].

وقوله: «**لا ضرر ولا ضرار**»[3].

وقوله فى البحر: «**هو الطهور ماؤه الحل ميتته**»[4].

* **ومثال الفعل:** أفعاله ﷺ التى نُقلت إلينا، مثل: وضوئه، وكيفية صلاته، وأدائه مناسك الحج، وقضائه باليمين والشاهد ونحو ذلك.

* **ومثال التقرير:** ما أقره الرسول ﷺ مما صدر عن بعض الصحابة من أقوال وأفعال بسكوته وعدم إنكاره، أو بموافقته وإظهار استحسانه، ومن ذلك:

ما رُوِىَ عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: «خرج رجلان فى سفر، فحضرت الصلاة وليس معهما ماء، فتيمَّما صَعيدًا طيبًا فصليا، ثم وجدا الماء فى الوقت، فأعاد أحدهما الوضوء والصلاة ولم يعد الآخر. ثم أتيا رسول الله ﷺ فذكرا ذلك له، فقال للذى لم يعد: «**أصبتَ السُنَّة وأجزأتك صلاتك**» وقال للذى توضأ وأعاد: «**لك الأجر مرتين**»[5].

وما رُوِىَ عن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ قال له حين بعثه إلى اليمن: «**كيف تقضى إذا عُرِضَ لك قضاء؟** قال: أقضى بكتاب الله، قال: **فإن لم تجد فى**

---

(١) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: ١٨/ ١٠، ١١.

(٢) رواه البخارى ومسلم.

(٣) رواه أحمد وابن ماجه.

(٤) أخرجه أصحاب السنن الأربعة.

(٥) رواه أبو داود والنسائى.

كتاب الله؟ قال: فبسُنَّة رسول الله ﷺ. قال: **فإن لم تجد فى سُنَّة رسول الله، ولا فى كتاب الله؟** قال: أجتهد رأيى ولا آلو، فضرب رسول الله ﷺ صدره وقال: **الحمد لله الذى وَفَّق رسول رسول الله لما يُرضى رسول الله**»[1].

وما رُوِىَ أن خالد بن الوليد رضى الله عنه أكل ضبّاً قُدِّم إلى النبى ﷺ دون أن يأكله، فقال بعض الصحابة: أوَ يحرم أكله يارسول الله؟ فقال: «**لا، ولكنه ليس فى أرض قومى فأجدنى أعافه**»[2].

* **وأما الصفة والسيرة:** فقد رُوِىَ من صفات رسول الله ﷺ وشمائله الكثير، وألَّف الترمذى كتابًا فى الشمائل[3].

ومثال ذلك: ما رُوِىَ عن أبى إسحاق قال: سأل رجل البرَّاء: أكان وجه رسول الله ﷺ مثل السيف؟ قال: «لا، مثل القمر»[4].

وعن البرَّاء فى حديث آخر: «لم يكن رسول الله ﷺ بالقصير ولا بالطويل»[5].

وعن جرير بن عبد الله البجلى قال: «ما رآنى رسول الله ﷺ منذ أسلمت إلا تبسم فى وجهى»[6].

• الخبر

الخبر لغة: النبأ، وجمعه أخبار.

أما الخبر اصطلاحًا ففيه ثلاثة أقوال:

١- قيل: إنه مرادف للحديث، فمعناهما واحد اصطلاحًا.

٢- وقيل: مغاير له، فالحديث ما جاء عن النبى ﷺ، والخبر ما جاء عن غيره كالصحابة والتابعين.

---

(١) رواه أبو داود. (٢) رواه البخارى ومسلم.

(٣) التشريع والفقه فى الإسلام تاريخًا ومنهجًا: مناع القطان ص ٨٧، ٨٨.

(٤) (٥) (٦) رواه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح.

٣- وقيل: إن الخبر أعم من الحديث، فالحديث: ما جاء عن النبى ﷺ، والبر: ما جاء عنه أو عن غيره.

• الأثر

الأثر لغة: بقية الشيء.

والأثر اصطلاحًا: فيه قولان:

١- قيل: هو مرادف للحديث، فمعناهما واحد اصطلاحًا.

٢- وقيل: مغاير له، وهو ما أضيف إلى الصحابة والتابعين من أقوال وأفعال.

• الحديث القدسى

عرفنا معنى الحديث لغة، والقدسى لغة: نسبة إلى «القدس» بمعنى الطُهر، وهي نسبة تدل على التعظيم، أى المنسوب إلى ذات الله المقدسة.

والحديث القدسى اصطلاحًا: هو ما يضيفه النبى ﷺ إلى الله تعالى.

• صيغ روايته

لرواية الحديث القدسى صيغتان:

الأولى: قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عَزَّ وجَلَّ

ومثاله: ما رواه مسلم فى صحيحه عن أبى ذر رضى الله عنه عن النبى ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «**ياعبادى! إنى حرَّمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا....**»

الثانية: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله تعالى**» أو «**يقول الله تعالى**».

ومثاله: ما أخرجه البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: يقول الله تعالى: «**أنا عند ظن عبدى بى، وأنا معه إذا ذكرنى، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه...**».

• الفرق بينه وبين القرآن

١- القرآن لفظه ومعناه عن الله تعالى، والحديث القدسى معناه من الله، ولفظه من عند النبى ﷺ.

٢- والقرآن يُتعبد بتلاوته، والحديث القدسى لا يُتعبد بتلاوته

٣- والقرآن يُشترط فى ثبوته التواتر، والحديث القدسى لا يُشترط فى ثبوته التواتر.

• الفرق بينه وبين الحديث النبوى

الحديث النبوى يُنسب إلى الرسول ﷺ ويُحكى عنه، أما الحديث القدسى فنسبته إلى الله تعالى والرسول يحكيه ويرويه عنه عَزَّ وجَلَّ. ولذلك قُيِّدَ بالقدسى، فقيل فيه: حديث قدسى، نسبة إلى الله، تقدَّس سبحانه وتعالى، وقُيِّدَ الآخر بالنبى ﷺ، فقيل فيه: حديث نبوى، نسبة إلى النبى عليه الصلاة والسلام.

هذا والأحاديث القدسية قليلة، وأشهر المصنَّفات فيها «الاتحافات السنية بالأحاديث القدسية» لعبد الرؤوف المناوى (١٠٣١هـ) جمع فيه (٢٧٢) حديثًا.